مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد السادس عشر - محرم - ربيع الأول ١٤٢٧هـ فبراير - إبريل ٢٠٠٦م

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
المملكة العربية السعودية
١٤١٨هـ ١٩٩٧م

١٦

- علاقة المسلمين بالقبائل المحيطة بالمدينة في العهد النبوي
- الخصائص الطبيعية لموقع معركة بدر وأثرها في أحداث الغزوة
- طريق جيش المسلمين إلى بدر
- طريق جيش المشركين إلى بدر
- الآثار الأمنية لغزوة بدر

التوثيق الميداني
- إصدار خاص -
غزوة بدر

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة بدر الكبرى

١٧/رمضان /٢هـ

طريق جيش المشركين من مكة المكرمة الى بدر

إعـــداد

د/حامد موسى الخطيب
كلية المعلمين بالمدينة المنورة

أ/ حسن البكري
مركز أبحاث ودراسات المدينة المنورة

المدينة المنورة/١٤٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

طريق جيش المشركين من مكة المكرمة إلى بدر

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إعــداد

د . حامد الخطيب* أ . حسن البكري*

ملخص

يهدف هذا البحث الى التحقق ميدانياً مما كتب في السيرة البنوية الشريفة عن موقعة بدر الكبرى ، فقد سار المشركون من مكة بعد أن أخبرهم ضمضم بطريقته الخاصة أن قافلة أبو سفيان في خطر من قبل محمد عليه الصلاة والسلام ، فجرى الحشد خلال ثلاثة أيام ، انطلقوا بعد ذلك من التنعيم صوب بدر لانقاذ عيرهم ، وتجمع لهم في هذا الحشد نحو ٩٥٠ مقاتلاً ، منهم مائة فارس دارع ، و ٧٥٠من الابل المجهزة ، ومئة أخرى بدون رحل ، واهدي لهم في الطريق عشرة أخرى ، وأول محطة لهم مر الطهران ، ثمّ عُسفان ، ثمّ القديد ، فالمشلَّل (مناة) ، فالجحفة ، ثم الابواء ، ثمّ العدوة القصوى . وقد كان ينحر لهم كل يوم ما بين تسعة الى عشرة من الابل ، وقد تأثروا قبل الحشد وأثناءه برؤيا عاتكة ، وفي الجحفة تأثروا برؤيا جهيم من الصلت ، وأبلغهم رسول أبو سفيان بأن القافلة قد نجت وهم في الجحفة ، وطلب منهم الرجوع ، فأبى أبو جهل ، ولكنه أعاد القيان الى مكة . واستمر في المسيرة الى بدر ، وقد عاد بنو عدي من ثنية لفت ، وعاد بنو زهرة من الجحفة ، ونزل الرسول عليه الصلاة والسلام بالعدوة الدنيا ونزل المشركون بالعدوة القصوى . واختبأ جيش المشركين خلف كثيب العقنقل . ولم يعلم أيّ من الجيشين عن الآخر إلا قبل المعركة بيوم واحد . واستخدم الطرفان أسلوب الاستخبارات العسكرية لمعرفة عدد كل منهما قبل بدء القتال ، ومن الغريب بالامر بأن جيش المشركين سار عشرة أيام دون توقف ، وسار جيش المسلمين أربعة أيام دون توقف . وفي اليوم التالي لوصولهم بدأت المعركة دون حصول تفاوض بين الطرفين ، ولعل عدم قناعة المشركين بجدوى القتال ، والنصر الموعود من الله جلّ وعلا لرسوله الكريم ، قد ساعد في شحن المسلمين معنوياً ، مما أفاء الله علينا بالنصر المبين ، والحمد لله رب العالمين .

١ـ أستاذ الجغرافيا الطبيعية المساعد بقسم الاجتماعيات بكلية المعلمين بالمدينة المنورة .
٢ـ باحث متخصص في الجغرافيا بمركز أبحاث ودراسات المدينة المنورة .

المقدمة

تمهيد :

تخترق شبه الجزيرة العربية من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب طرق بريه ، كانت تمثل عبر التاريخ شرايين الحياة لهذه الكتلة القارية القليلة الموارد . فمنذ آلاف السنين ساعدت هذه الطرق على ظهور العديد من الدول والممالك مثل : حمير ، وسبأ ، ومعين ،.... ، وكان تغيّر اتجاه هذه الطرق كفيل بأنهاء سطوة إحداها .

وكانت القوافل التجارية تستخدم الابل لنقل السلع وتبادلها ، وتقوم ثلة من الخيالة بحمايتها من الطامعين ، وتبرم الاتفاقات مع القبائل التي تمر عبر حماها ضماناً لسلامتها . وكانت هذه القوافل تحاول أن تسلك طرقاً سهلة ، وتحرص أن تكون محطاتها الرئيسية وفيرة المياه بالدرجة الاولى ، وبالعرف الهيدرولوجي والجيومورفولوجي ، فإن المناطق المؤهلة لتكون محطات تجارية هي بطون الاودية الرئيسية أو أحد روافدها . بحيث يسهل جمع المياه الجوفية السطحية بالرشح بواسطة آبار تحفر يدوياً في أسرَّة هذه الاودية ، وقد تكون هذه المياه من الوفرة بحيث تنبثق عبر مجاري هذه الاودية بعض الينابيع . فمن المعروف أن صخور الدرع العربي لا تمثل بيئة مناسبة لإحتواء المياه الجوفية ، وقد تمثل بعض الفوالق والصدوع في صخور القاعدة الاركية بما تحتويه من رواسب خزانات متواضعة للمياه الجوفية ، يمكن الحصول عليها أمّا بالحفر ، أو أنها مصدر لمياه بعض الينابيع المتدفقة .

فليس من باب الصدفة أن تكون مسارات القوافل التجارية والحملات العسكرية مسارات إجبارية عبر هذه الأودية ، ولا تحيد عنها إلاّ إذا كانت ملاحقة ، أو تحاول التخفي والتخلص من المتربصين بها ، فتلجأ الى طرق غير معروفة يغلب عليها التضرس والوعورة ، مما يشكل مخاطرة كبيرة على مسيرة القافلة أو الحملة العسكرية ، ولهذه الطرق محترفين ، كل متخصص في ديرته ، وكانت تدفع لهؤلاء الأدلاء مكافآت مالية مجزية مقابل عملهم هذا .

وكانت القوافل التجارية والحملات العسكرية تتجنب بعض العوائق الطبيعية . فلا تستطيع أن تعبر الحرات البازلتية لخشونتها ، ولا تحبذ السير في المناطق الرملية ، ولا ترغب اجتياز الجبال والتلال والمنحدرات الوعرة . كما أن هذه القوافل كانت تتحاشى السير في قلب الجزيرة العربية لأنها موحشة وتخلو من مصادر المياه الطبيعية ، كما أن الطريق الساحلي على البحر الاحمر لم يكن مرغوباً مثل نظيره الابعد نحو الداخل ، ولعلّ سبب ذلك يعود الى قسوة المناخ ، حيث يقترن ارتفاع درجة الحرارة بارتفاع نسبة الرطوبة وسكون الرياح ، ولكن هذا الطريق يكون في فصل الشتاء هو المفضل ، كما أنه عرضة لحدوث فيضانات مفاجئة وبخاصة في الفصول الممطرة ، ولذلك لا يسلك هذا الطريق إلاّ من أجبر على سلوكه .

ونحن اليوم بصدد أحد هذه الطرق التي كانت ومازالت تمثل أحد الشرايين الرئيسية في هذا البلد الخيّر . وهي جزء من الطريق السلطاني ، الذي كان يمتد من أقصى الدولة العثمانية في الشمال حتى آخر حدودها جنوباً ، ولم تحاول الحملة العسكرية لقريش بقيادة أبو جهل أن تسلك طريقاً آخر ، غير هذا الطريق فليس لديها الوقت الكافي للبحث عن بديل آخر أقصر وأسهل ، فسلكته كما سلكه غيرها عبر الازمان والعصور ،حيث بدأ

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الركب مسيرته من التنعيم ، ثمّ مرّ الظهران ، ثمّ عُسفان ، فالقديد ، فمناة (المشلَّل)، فالجحفة ، ثمّ الابواء ، فالعدوة القصوى فبدر .

مبررات الدراسة :

لم تحظ هذه الطريق الذي سلكه جيش المشركين من مكة الى بدر الاهتمام الذي لقيه طريق جيش المصطفى عليه الصلاة والسلام من المدينة المنورة الى بدر . فقد تعددت المؤلفات الحديثة التي عالجت معركة بدر من مختلف الجوانب مع التركيز على طريق المسلمين من المدينة الى بدر . ومن الذين ساهموا في تتبع جيش المسلمين وتحليل مساره من حيث الوقت والمكان ، كل من : العياشي (١٤٠١/١٩٨٠) ، والبليهشي (١٤١٣/١٩٩٣) ، واليماني(١٤١٥/١٩٩٤) والرحيلي (١٤١٩/١٩٩٨) .

ولا يفوتني القول بأن العياشي هو الاكثر خوضاً في أدق التفاصيل ، وكانت لديه الجرأة العلمية في تحديد مسار قافلة أبو سفيان ، وجيش المشركين ، وجيش النبي عليه الصلاة والسلام ، مدعمه بالتواريخ ، وبيان المكان الذي توجد به هذه الأركان الثلاثة حسب اليوم وتاريخه . رغم أن طريق القافلة مازال غامضاً ، وبحاجة الى تدقيق علمي ، فلا يوجد أتفاق بين المصادر على مسارها ، ومكان إقامتها ، وزمان تحركها .

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة الى استجلاء الطريق الذي سلكه جيش المشركين من مكة المكرمة الى بدر . وتدقيق المحطات الرئيسية لهذه الحملة ميدانياً ، مدعومة بالصور الفوتوغرافية ، والخرائط التفصيلية ، والوقوف على أدق تفاصيل مسار الحملة العسكرية لقريش ، ومحاولة تحليل مسار الحملة من الناحية التاريخية والجغرافية .

منهجية الدراسة :

تمّ الاعتماد على النصوص التاريخية التي وردت في كتب السيرة ، والرجوع الى المعاجم لتأكد من أسماء الاماكن التي وردت في هذه النصوص ، لضبط لفظها وكتابتها ، والاستعانة ببعض ما قيل عنها من الشعر . ثمّ القيام بجولة ميدانية للتعرف على هذه الطريق . حيث قام فريق من مختلف التخصصات بتتبع مسار الحملة العسكرية من مكة المكرمة الى بدر وذلك يومي الخميس والجمعة الموافق ٢٢-١٤٢٦/١/٢٣هـ . ثم قام متخصصون بعد ذلك بتثبيت الطريق على خريطة أساس بيّن عليها المحطات الرئيسية لجيش المشركين ،كما تمّ أخذ عشرات الصور للمواقع ، وسجل هذا الحدث بواسطة الكميرات التلفزيونية وكاميرات الفيديو ، بهدف إنتاج فيلم وثائقي عن هذا المشروع .

الحشد العسكري ومبرراته :

تقع مدينة مكة المكرمة في منطقة فقيرة إقتصادياً ، فهي تقع بوادٍ غير ذي زرع ، وتعتمد أعتماداً كلياً في مؤونتها على ما يجاورها من مناطق داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها ، وكانت القوافل تنطلق منها محملة بما خفَّ حمله ، وتعود بأقصى حمولة تقدر عليها ، وكان يناوب على رئاسة القوافل صناديق قريش مثل: أبو سفيان ، وأبو جهل ، وأمية بن خلف ، ..... وغيرهم .

وحسب الاية الكريمة "لإيلاف قريش الى فهم *رحلة الشتاء والصيف" ، فإن لقريش رحلتان ، واحدة تتجه شتاءً نحو اليمن ، وتتجه الثانية صيفاً نحو بلاد الشام ، وقد تخرج عن هذا النمط بعض الرحلات التجارية وفق ظروف خاصة ، فقافلة أبو سفيان خرجت من مكة في بداية شهر تشرين أول/٦٢٣م ، وقفل راجعاً في شهر شباط من العام التالي٦٢٤م ، حيث كان عند الحدود الاردنية السعودية (الآن) في منتصف هذا الشهر، وبناء عليه فإن هذه القافلة التجارية قد أمضت شهري كانون أول وكانون الثاني الاكثر برداً ومطراً في بلاد الشام ، وبذلك فإن هذه القافلة قد أخلّت بنمط التجارة الخارجية لمكة المكرمة .

وكانت هذه القافلة كبيرة بالعرف التجاري آنذاك ، فقد شملت على ألف من الابل ، يقوم بحراستها مجموعة من الفرسان اختلف الرواة على عددهم ، حيث يتراوح ذلك العدد ما بين ٣٠-٧٠فارساً ، منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص .(سيرة أبن سيد الناس ، المجلد ١، ص٣٢١)، وقد اشترك جميع القرشيين في هذه القافلة إلا حويطب بن عبد العزّى ولهذا لم يخرج لبدر(سيرة ابن كثير، الجزء الثاني ، ص٣٨٠) . وتقدر بعض كتب السيرة أن قيمة السلع التي كانت تحملها قافلة أبو سفيان بنحو(خمسين ألف دينار) ، وأن أكثر المساهمين فيها آل سعيد بن العاص ، وبني مخزوم ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وأمية بن خلف ، وبني عبد مناف (المغازي، للواقدي، الجزء الاول، ص٢٨.٢٧) .

وفي أثناء وجود القافلة في الشام أدركها رجلٌ من قبيلة جذام ، وأخبر أبا سفيان بأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد حاول اعتراض القافلة وهي ذاهبة الى الشام ، وأنه ينتظر عودتها من هناك ، وقد تحالف مع القبائل المجاورة لمسير القافلة ، وكان لهذا الخبر ردة فعل لدى المسؤولين عن سلامة القافلة ، وأخذوا يتوجسون خيفة مما قد يحصل لهم ، وبمجرد إنتهائهم من أراضي بلاد الشام ودخولهم أراضي بلاد الحجاز (عند تبوك) بعثوا بضمضم بن عمرو الغفاري الى مكة يطلب النجدة ، وقد لقي أبو سفيان ضمضماً هذا عند الساحل فأستأجره بعشرين متقالاً ، وحتى يكون طلب النجدة مؤثراً ، فقد طلب منه أبو سفيان أن يجدع/يقطع أنف بعيره ، ويحوّل رحله ، ويشق قميصه من قبله ودبره ، ويصيح الغوث ، الغوث ، وفي كتب أخرى اللطيمة ، اللطيمة ، [بمعنى العير التي تحمل المؤن] (المغازي ، للواقدي ، الجزء الأول ، ص ٢٨) .

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب ، قبل وصول ضمضم الى مكة بثلاث ليال قد رأت رؤيا أفزعتها ، فأخبرت أخيها العباس بذلك ، وطلبت منه كتمانها . فقد "رأت راكباً أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثمّ صرخ بأعلى صوته ، ألا إنفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث ، فارى الناس إجتمعوا إليه ، ثمّ دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مَثَلَ به/قام به بعيره على ظهر الكعبة ، ثمّ صرخ بمثلها... ، ثمّ مَثَلَ به بعيره على رأس أبو قبيس ، فصرخ بمثلها ، ثمّ أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ، ولا دار إلا دخلتها منها خلقة ..." ولكن العباس لم يكتم الرؤيا فأخبرها للوليد بن عتبة ، وذكر الوليد لأبيه ، ففشي السرّ ، وتحدثت بالرؤيا قريش كلها ، وأكثر المتندرين لهذه الرؤيا ، أبو جهل عندما قال للعباس / أما رضيتم أن تنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ، ولم ترض نساء بني عبد المطلب بهذا التعليق والنقد

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

من أبو جهل ، وطالبن العباس أن يردّ عليه ما قاله ، ولكن مجيء ضمضم بعد ثلاث ليالٍ (كما رأت عاتكة) مستغيثاً وفرّ عليه مشقة معاتبة صنديد قريش أبا جهل (المغازي ، للواقدي ، الجزء الأول ، ص٢٢٥.٢٢٧) .

وحين قدم ضمضم مستغيثاً ، صار الناس بين رجلين ، إمّا خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً ، فصدقت رؤيا عاتكة ، وسرّت بنو هاشم ، واستمرت قريش في تجهيز حملتها العسكرية مدة ثلاث أيام ، فقد حضر ضمضم الى مكة يوم ٤/رمضان/٢هـ ، واستكمل الحشد صباح يوم ٧/رمضان/٢هـ .

ومن بين الذين تخلفوا ، وبعثوا بدلاً منهم ، أبو لهب ، الذي خاف من رؤيا عاتكة ، ورفض المشاركة في الحملة العسكرية ، لولا إقناع أبو جهل له بضرورة المشاركة ، فأناب عنه العاص بن هشام بن المغيرة ، كان عليه دين لأبي جهل ، وحاول أمية بن خلف البقاء في مكة وعدم الخروج للقتال ، وحاول العدّاس مولى شيبة وعتبة ابني ربيعة أن يثنيهما عن الخروج ، فأبوّ ، فقتلوا في بدر وقتل معهما .(المغازي ، للواقدي ، الجزء الاول ، ص٣٣).

وقد طلب أبوسفيان من ضمضم إبلاغ أهل قريش بالاّ يستقسموا بالازلام لضمان قيامهم بإغاثة القافلة ، ولكن أمية بن خلف ، وعتبة وشيبة ، استقسموا ، فخرج القدح ينهي الخروج ، ومثل هذا الأمر تكرر لزمعة بن الاسود ، وسهيل بن عمرو ، ولكن استقسامهم عند هبل ، لم يمنعهم من استكمال الحشد العسكري .(المغازي، للواقدي ، الجزء الاول ، ص٣٤) .

ومما كان يثير القلق لدى قريش أثناء التجهيز ، خوفهم من قيام بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة الأخذ بثأر قديم ، وكاد هذا الامر يثنيهم عن الخروج ، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي ، وهو من أشراف بني كنانة ، فطمأنهم بأن بني بكر بن كنانة لا يضمرون لهم شراً ، فاستمروا في تجهيز الجيش الى أن أكتمل بصورته النهائية صباح السابع من رمضان /السنة الثانية من الهجرة ، (سيرة ابن هشام ، الجزء الثاني ، ص٢٢٨.٢٣٠) .

وكان تعداد جيش المشركين تسعمائة وخمسين رجلاً ، مع مائة فرس ، وسبعمائة بعير، ومئة بعير بدون رحل ، ثمّ اهديت لهم عشراً من الابل في الطريق ، وصحبهم في هذه الحملة القيان والمغنيات (السيرة النبوية ، أبو شهبة ، الجزء الثاني،ص١٢٧) ، وكان فرسان الخيل جميعهم يلبسون الدروع ، وبعد اكتمال الحشد النفسي والمادي قال أبو جهل : " أيظنّ محمدٌ أن يصيب منا ما أصاب بنخلة وأصحابه ؟ سيعلم أنمنع عيرنا أم لا" . (المغازي ، للواقدي ، الجزء الاول ، ص٣٩) .

مسار الحملة العسكرية : ـ

التنبيه : (انظر الخريطة المرفقة) .

أورد العياشي (١٤٠١/١٩٨١،ص٤٢.٤٣) أن وصول ضمضم الى مكة المكرمة كان يوم ٣/رمضان/٢هـ ، وأن خروجه في مهمته التي كلفه بها أبو سفيان كان يوم ٢/٨/٢٤هـ . وأن قريشاً كلفت رسولاً يدعى الفرات بن حبان العجلي ليخبر أبا سفيان بإنطلاق جيش قريش من مكة المكرمة في ٧/رمضان/٢هـ (المصدر نفسه ، ص٦٢) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سار الجيش بصحبة قيان عتاة قريش يغنين وشبابها يرقصون فرحاً ، فقد ضمت الفرقة الغنائية كل من سارة مولاة عمرو بن هشام بن عبد المطلب ، ونمرة مولاة الاسود بن عبد المطلب ، ومولاة لأمية بن خلف ... (المصدر نفسه ، ص٦٣).

والتنعيم هو موقع الحشد العسكري لجيش المشركين بقيادة أبو جهل . والتنعيم : بالفتح ثم السكون وكسر العين المهملة وياء ساكنة وميم ، وسميت بذلك لأن جبلاً على اليمين يقال له نعيم ، وآخر عن الشمال يقال له ناعم والوادي يقال له نعمان، وبالتنعيم العديد من المساجد حول مسجد السيدة عائشة رضى الله عنها ومنه يحرم المكيون بالعمرة ، وقال محمد بن عبد الله النميري في هذا الموقع :

فلم ترَ عيني مثل سرب رأيته خرجن من التنعيم معتمرات
مررن بفخّ ثم رحن عشية يلبين للرحمن مؤتجرات
فأصبح ما بين الأراك فخذوه الى الجذع جذع النخل والعمرات
له أرجٌ بالعنبر الغض فاغم تطلّع رباه من الكفرات
تضوع مسكاً بطن نعمان إن مشت به زينب في نسوة عطرات

(معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الأول ، ص٤٥٨) .

والتنعيم هو شجر معروف في البادية ، ويمكن أن تكون التسمية جاءت من توفر هذا النبات في المكان نفسه ، ومن التنعيم أمر الرسول عليه الصلاة والسلام عبد الرحمن بن أبي بكر (رضي الله عنه) أن يردف أخته عائشة فتحرم من التنعيم ، فقد روي عن حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : (يا عبد الرحمن أردف أختك عائشة فأعمرها من التنعيم ، فإذا هبطت بها من الأكحمة فلتحرم فإنها عمرة متقبلة).(معجم معالم الحجاز ، البلادي ، ١٣٩٨/١٩٧٩، الجزء الثاني ، ص٤٤.٤٥) .

ويعتبر التنعيم اليوم أحد أحياء مكة المكرمة ، ويبعد عن الحرم المكي نحو ٧كم، وبذلك فإن التنعيم يقع ما بين مكة المكرمة ووادي سَرِف . **وادي سَرِف**: بفتح أوله وكسر ثانيه وآخره فاءٌ، وهو يقع ما بين مكة ومرّ الظهران (وادي فاطمة) ، وتزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث ، وهناك بنى بها ، وهناك توفيت ، وفيه قال عبيد الله بن قيس الرقيات :

لم تكلَّمْ بالجلهتين الرسوم حادث عهدُ أهلها أم قديم
سَرِفٌ منزلٌ لسلمة فالظهـ ـران منها منازلٌ فالقصيم

(معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الثالث ، ص٤٠) .

ينبع وادي سَرِفْ من السفوح الشرقية من جبال الحجاز من منطقة تسمى وادي الملح ، وتكثر على جنباته اليوم العديد من المزارع ، كما يقطعه طريق مكة . المدينة ، ويقدر عرض الوادي عند التقاطع بنحو مائة متر ، ويعدّ هذا الوادي أحد روافد وادي فاطمة حيث يلتقيه بعد بضعة كيلومترات من قبر السيدة مؤمونة " رحمة الله عليها" .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويقع القبر على الجانب الايمن للوادي ، على الطرف الايمن للطريق المؤدي الى مكة المكرمة ، وهو يتوسط ساحة مسوّرة بسور من الاسمنت يرتفع عن الارض قرابة المترين ، بطول يصل الى ١٥م بعرض ١٢م تقريباً ، ويبعد عن الحرم المكي نحو ١٨كم، ويقع قبر السيدة ميمونة بجانب محطة توجيه الحجاج القادمين من المدينة المنورة ، ويعرف الحي الذي يقع فيه القبر بحي النوّارية . (صورة رقم١).

مر الظهران (وادي فاطمة) : [صورة رقم ٢]

بعد يومٍ واحد من انطلاق الحملة العسكرية من التنعيم مروراً بوادي سَرِف وصلت الى مر الظهران.

ومَرٌّ: بالفتح تم التشديد والمر والمُمرُّ والمير الحبل الذي قد أحبك فتله . ويجوز أن يكون منقولاً من الفعل مَرَّر يمرُّ ثم أصبح إسماً . ويذكر كثيرٌ انه قال سميت مرّاً لمرارتها ، ومرُّ ظهران يبعد عن مكة المكرمة مرحلة واحدة ، وقيل مرُّ القرية والظهران هو الوادي ، وبمرّ عيون كثيرة ونخل وجميز ، وهو لأسلم وهذيل وغاضرة. قال عون بن أيوب الانصاري الخزرجي في الاسلام :

فلما هبطنا بطن مَرّ تخزعت خزاعة منّا في حلول كراكر

حمت كل واد من تهامة واحتمت بصمّ القنا والمرهفات البواتر

(معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الرابع ، ص٢٤٧) .

ومَرُّ الظهران : وادٍ عظيم من اكبر أودية الحجاز ،تقع منابعه العليا غرب الطائف ، من السفوح الشرقية لجبال السراة الذي ينبع من هدأة الطائف وجبلي السعايدة والثبتة ، ومن اجتماع الواديين يتكون وادي الزبارة ، وعندما يتعدى وادي الزبارة قرية أبي حصاني يسمى وادي فاطمة ، وفيه قرى وبلدات كثيرة أشهرها الجموم ، وبأسفل الوادي تقع بلدة حداء ، وبلدة بحرة .

وتصب في وادي فاطمة عدة أودية رئيسية أهمها : وادي سَرِف ، ووادي ياجج ، ووادي فخ ، ويقطن الوادي عشائر ثقيف ، والاشراف المناعمة ، ويسمى الوادي أحياناً بوادي الشريف نسبة الى الشريف أبن نميّ الذي حكم مكة ستين سنة (٩٩٢.٩٣٢هـ) . أما نسبته الى فاطمة فهي زوجة بركان ابن أبي نُميّ أو أمه . (معجم معالم الحجاز، البلادي،الجزء الثامن ، ١٤٠٢/١٩٨٢م ، ص١٠٠.١٠٣).

وتفيد المصادر بأن وادي فاطمة كان يضم نحو(٣٠٠)عيناً ، جفت جميعها ، عدا الينابيع الموجودة في وادي الزبارة والنخلتين ، وسبب جفاف هذه العيون ، السحب الجائز للمياه الجوفية لتزويد مدينتي مكة المكرمة وجدة بالمياه ، ويضم وادي فاطمة اليوم (٤٠) قرية ، ويقدر طوله بمئتين وثمانية كيلومترات ، وينتهي وادي فاطمة في البحر الاحمر جنوب مدينة جدة ، وتقدر المسافة التي تفصله عن مكة المكرمة نحو (٢٤كم) .(معجم معالم الحجاز،الجزء الثامن،١٤٠٢/١٩٢،ص١٠٢).

تقع بلدة الجموم على الضفة اليمني للوادي عند نهاية الجسر الذي يقطع الوادي كجزء من طريق مكة المدينة القديم ، ويقدر عرض الوادي في هذا المكان بنحو ٨٠٠م ، ومازالت المزارع والاستراحات تنتشر على جوانب هذا الوادي .وكان هذا الوادي ومازال محطة عبور رئيسية للمتجة صوب مكة من المدينة أو العكس ،

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام ، قد نزل فيه أثناء فتح مكة وحجة الوادع ، كما بات فيه جيش المشركين المتجه لنجدة قافلة أبي سفيان ليلتهم الاولى ، وذبح لهم في هذا الموقع أبو جهل عشرة من الابل .

وتغني العديد من الشعراء بمرّ الظهران ، منهم : عمرو بن أبي ربيعة ، حيث قال :

أباكرة في الظاعنتين رميم ولم يُشف متبولُ الفؤاد سقيمُ

عشية رحنا ثم راحت كأنها غمامةُ دجن تنجلي وتغيمُ

فقلت لأصحابي انفروا إن موعداً لكم مرُّ فليرجع عليَّ حكيمُ

(معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الرابع ، ص٢٤٧) .

عُسفان :

رحل جيش أبو سفيان صباح يوم الثامن من رمضان من السنة الثانية للهجرة من وادي فاطمة بإتجاه الشمال نحو المحطة الرئيسية الثانية وهي عُسفان : بضم أوله وسكون ثانية ثم فاءٍ وآخره نون فُعلان من عَسَفت المفازة وهو يعسفها وهوقطعها بلا هداية ولا قصد ، سميت عسفان لتعسف الليل فيها ، وهي من مكة على مرحلتين ، وهي حد تهامة . غزا النبي عليه الصلاة والسلام بني لحيان بعسفان بعد نهاية السنة الخامسة للهجرة بشهرين ، وقال أحد الشعراء فيها :

لقد ذكرتني عن حُنابٍ حمامةٌ بعسفان أهلي فالفؤاد حزين

فويحك لكم ذكرتني اليوم أرضنا لعلَّ حمامي بالحجاز يكون

(معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الثالث ، ص٣٧٧) .

روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلى صلاة الخسوف بين عُسفان وضجنان ، وروى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بعُسفان والمشركين بينه وبين القبلة فصلى بهم صلاة الخسوف . وروى عطاء بن عباس قال : حاضر المسجد الحرام عُسفان وضجنان ومرَّ الظهران . وروى مجاهد عن ابن عباس قال: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، صام حتى أتى على عُسفان ثم أفطر . وروى نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّفي عسفان بوادي المجذوبين فأسرع المشي . قال بن مقبل في عسفان :

فعسفان إلاّ أن كل ثنية بعسفان يأويها مع الليل قضب. (وهي: جماعة الخيل)

(معجم معالم الحجاز، البلادي،الجزء السادس،١٤٠١/١٩٨١م،ص١٠٠. ١٠١) .

وضجنان : على وزن فَعَلان ، بالتحريك ونونين ، وقيل ضجنان جبيل على بريد من مكة ، وهناك الغميم في أسفله . ومسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي لأسلم وهذيل ، ولضجنان حديث في حادثة الإسراء ، حيث قالت قريش : ما آية صدقك ، قال : لما أقبلت راجعاً حتى إذا كنت بضجنان مررت بعيرفلان فوجدت القوم ولهم إناء فيه ماء فشربت ما فيه ..(معجم البلدان ، ياقوت الحموي، المجلد الثالث ، ص٢٢٥) .

وضجنان ، تمثل حرة مستطيلة من الشرق الى الغرب ، يقسمها وادي الصفو الى قسمين ، يمر طريق مكة . المدينة في النصف الغربي بعد ٥٤كم من مكة المكرمة ، ويعرف هذا الجزء بخشم المحسينية ، وأما النصف الاخر الواقع على بضعة كيلومترات شمالاً فهو كراع الغميم . (صورة رقم ٣) وتمثل المنطقة المحصورة بين

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هاتين الحرتين سهلاً واسعاً ، تستخدم بعض أجزاءه للأغراض الزراعية وتتبع فيه طريقة الحصاد المائي ، حيث شوهد السهل مقطعاً بحواجز ترابية لمنع جريان الماء في وادي الصفو بسرعة كبيرة ، ويلاحظ من الجهة الشمالية إشراف حرّة كراع الغميم على هذا السهل على شكل جروف صخرية تمتد من الشرق الى الغرب ، يقطعه من النصف أحد روافد وادي الصفو ، ثم تستمر مشرفة على السهل حتى يقطعها مرة أخرى وادي فيدة عند بلدة عسفان ، والذي يلتقي بالبلدة نفسها بوادي الصفو ليشكلاً معاً وادياً يتجه نحو البحر بإتجاه شمال . غرب .

وعسفان اليوم ، بلدة عامرة تتوفر بها معظم الخدمات الضرورية ، وبها مركز إمارة وتبعد عن مكة المكرمة مسافة ٩٠ كم ، ويتبعها من الانحاء : ناحية فيدة ، وناحية الصفو ، وناحية شامية بني حمادي ، وناحية الغولاء ، وتكثر في هذه البلدة المزارع نظراً لوفرة المياه الجوفية السطحية المخزونة ببطن وادي الصفو ، وفيدة ، ومن الجدير بالذكر بأن بئر التفلة يوجد ضمن ضواحي هذه البلدة ، وهو بئر وفير المياه عذب المذاق ، وقصته معروفة في كتب السيرة ، وبجانب بئر التفلة يوجد بئر مهجور في غاية الاتقان من الناحية الهندسية (صورة رقم٤) . والبئران يقعان على شفير وادي فيدة ، الذي يقدر عرض مجراه هناك بنحو خمسين متراً ، وهو أقلّ شأناً من وادي الصفو ، ونظراً لسحب المياه الجوفية الجائر، فإن هذه المياه قد استنزفت ، وتملحت ، إلاّ بئر التفلة .

وتشير بعض كتب السيرة النبوية العطرة أن صفوان بن أمية قد نحر لجيش المشركين بعسفان عشر جزر . (السيرة النبوية ، ابن سيد الناس ، المجلد الاول ، ص٣٣٠) . وقد إنفرد ابن سيد الناس بهذا الخبر ، حيث أشارت جميع كتب السير التي تمّ الاطلاع عليها بأن الذي قام بالنحر هو أمية بن خلف (يمكن الرجوع الى سيرة ابن هشام ، الجزء الثاني ، والسيرة النبوية لأبن كثير الجزء الثاني ، والسيرة النبوية لأبن أبو شهبة الجزء الثاني) .

ومن بلدة عسفان يمكن للمسافر أن يتجه صوب الساحل نحو مدينة جدة ، أو يستمر بإتجاه الشمال نحو المدينة المنورة عبر معبرٍ طبيعي يقال له ثنية الغزال . والثنية في الاصل كل عقبة في الجبل مسلوكة (معجم البلدان ، ياقوت الحموي، المجلد الثاني ، ص١٦) . وثنية الغزال تقع شمال بلدة عُسفان بقليل ضمن الحرة البازلتية المسماة بضجنان ، ويجبر المسافر الى المدينة المنورة على سلوكها .

وثنية الغزالة : ثنية يقال لها قرنُ غزال ، وقال كثير يذكر إبلاً :

قِلنَ عُسفان ثمّ رُحن سراعاً طالعاتِ عشيةً من غزال

قصد لفتٍ وهنّ متسقاتٌ كالعَدَولي لحقات التوالي

(معجم البلدان ، ياقوت الحموي، المجلد الثامن ، ص٣٨٧) .

ومن خلال نص هذين البيتين لكثير عزة فإن ثنية قرن غزال ، تقع ما بين عُسفان وثنية لفت التي تقع ما بين وادي أَمج والقديد ، وليس كما أشار إليه ، الحموي في المصدر السابق نفسه ، وبالصفحة نفسها ، حين قال : قال عرّام وعلى الطريق من ثنية هرشى بينها وبين الجحفة ثلاثة أودية مسميات منها غزال .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقبل الوصول الى المحطة الثالثة القديد ، فإن جيش المشركين قد مرّ بالكديد ، **والَكديدُ** : فيه روايتان رفع أوله وكسر ثانيه ، وياءٌ وآخره دال اخرى ، وهو التراب الدقاقّ المركلّ بالقوائم ، وقيل : الكديد ما غلظ من الارض، وهو موضع بالحجاز ، ويوم الكديد من أيام العرب ، ويذكر الحموي في معجمه أن ابن اسحاق قال : سار النبي عليه الصلاة والسلام الى مكة في رمضان فصام وصام أصحابه حتى إذا كان بالكديد بين عُسفان وأمج أفطر . (معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الرابع ، ص ١٢٣) .

ويذكر البلادي نقلاً عن البكري : بأن الكديد موضع بين مكة والمدينة بين منزلتي أمج وعسفان ، وهو ماء عين جارية ، عليها نخل كثير لابن محرز المكي . والكديد يبعد عن مكة نحو (٩٥كم) ، ويعرف بالحَمض لكثرة نبات العصلاء فيه ، وهو مكان يقع أسفل وادي غرّان قبل مصبه في وادي أمج ، وهو كثير الرمال ، ومياهه مالحة لا تصلح للزراعة ، وأهل الكديد من زبيدة من حرب . (معجم معالم الحجاز ، البلادي ، الجزء السابع ، ١٤٠١/١٩٨١م، ص٢٠٤.٢٠٥) .

واستمر جيش المشركين سحابة اليوم التاسع من رمضان السنة الثانية من الهجرة ، مسيرته حتى قطع وادي أمج والذي يقع على مسافة تقدر بنحو ١١٠كم من مكة المكرمة . **وأَمَجُ :** بالجيم وفتح أوله وثانيه ، والأمج في اللغة العطش. وأمج بلد منها حميد الأمجي دخل على عمر بن عبد العزيز ، فقال :

شربت المدام فلم أقلع وعوتبت فيها فلم أسمع

حميدٌ الذي أمجٌ دارُه أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع .

وأمج وغُران واديان من حرّة بني سليم وينتهيان في البحر (معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الأول، ص٢٠٠) .

وينقل البلادي عن البكري بأن أمج قرية جامعة بها سوق وهي كثيرة المزارع والنخل وأهل أمج من خزاعة ، وبها عشرين بئراً .(معجم معالم الحجاز، البلادي، الجزء الاول ، ١٣٩٨/١٩٧٨م، ص١٤٠.١٤١) .

ومن الجدير ذكره ومن باب الثناء والتقدير فإن مؤلف معجم معالم الحجاز من سكان هذه المنطقة ، ويقول في معجمه بأن أمج وادي فحل من أودية الحجاز من أخصبها وأعمرها سكاناً ، ينبع من حرّة بني سليم ، وعند منابعه العليا يسمى ساية ، وعند التقاءه بوادي وبح عند الكامل سمي الوادي المرواني، فإذا وصل الخوار سمي وادي الخوار ، وفيه أربع عيون وقرى مأهولة ، فإذا اجتاز هذا الجزع يصل الى سهل واسع ، يتصل جنوباً بسهل الكديد ، ويمسى هذا الجزع خُليص ، وكانت تزرع في هذا الوادي الذرة ثلاث مرات في السنة ، فيه الآن قرابة خمسمائة بئر ، وبعد تجاوزه خليصاً يسمى بالساحل بوادي ثول نسبة الى ميناء ثول على البحر الاحمر ، ويسقي هناك مزارع عشرية حول الدعيجية ثم يصب في البحر ، وتسكنه قبائل من زبيد وبلادية اليمن .(معجم معالم الحجاز ، البلادي، الجزء الاول ، ١٣٩٨/١٩٧٨، ص١٣٨) .

وخليص: حصن بين مكة والمدينة (معجم البلدان ، ياقوت الحموي، المجلد الثاني، ص٢٤٦) . وهو وادٍ كثير الماء والمزارع ، يحفّ به من الغرب جبلا حمدان ، ومن الشمال حرة الخليصية ، ويصب فيه من الجنوب وادي غُران ، وفيه ثلاثون قرية ، وعدد سكانه يقارب الثلاثين ألفاً ، وبه عين خليص ، أخذت مياهها الى مدينة جدة ،

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويعد وادي خليص أحد المصادر الرئيسية لمياه مدينة جدة ، التي تبعد عنه نحو ٩٠كم. وفي خليص يقول الشاعر الشهاب أحمد بن أبي مجلة :

حثثنا المطايا من خليص عشية وطرفي إلى أفق السماء ترددا

ولما بدا فيه الهلال لناظري ذكرت جبين العامري إذ بدا

ويقول صلاح الصفدي :

يقول سائق ركبي ولات حين مناص

لقد بلينا بدرب بطول يوم القصاص

فقلت جيء بي خليصاً وابشر بحسن خلاص

(معجم معالم الحجاز، البلادي ، الجزء الثاني١٣٩٩/١٩٧٩م ، ص ١٤٩.١٥١).

وحديثاً تحول الطريق الرئيسي الذي يربط مكة المكرمة بالمدينة المنورة شمالاً بنحو ٢-٣كم ، فقد كان الطريق قديماً يمر بمحاذاة المزارع والاستراحات المقامة حالياً في الخليص ، وهناك آثار جسر قد هدمه السيل ، وتحايلت وزارة لأشغال على هذه المشكلة بأن سايرت الطريق وفق مجرى الوادي ، ويشاهد في الصورة رقم (٥) آثار هذا الجسر ، كما تبين الصورة رقم(٦) بقايا مياه السيل الذي اجتاح المنطقة خلال موسم الحج عام ١٤٢٥/١٤٢٦هـ .

واستمرت الحملة العسكرية في سيرها شمالاً في طريقها الى المحطة الرئيسية الثالثة (القديد) . فإلى الشمال قليلاً من خليص تعترض المسيرة حرة بازلتية تمتد من الشرق الى الغرب تعرف باسم حرة خليص ، يضطر المسافر أن يقطعها عبر عقبة خليص ، والتي تبعد عن خليص نفسها نحو ٥كم، ويقال، لهذه العقبة ظاهرة البركة ، وعند هذه الحرة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وله أيضاً مسجدٌ آخر في خليص . (معجم معالم الحجاز ،البلادي،الجزء الثاني ،١٣٩٩/١٩٧٩م،ص١٥٠).

وقد يكون المعني فيما مضى ثنية لفت . **ولفت** : وهي على ثلاثة أوجه ، والمتعارف عليه وهو كسر اللام ، وهو وادٍ قريب من الهرشى عقبة بالحجاز بين مكة والمدينة ، وقد سبقت الاشارة اليها في صفحات سابقة حين ذكرها كثير عزة .أما أبو صخر الهذلي فقال فيها :

لأسماءَ لهم تهتج لشيء إذا خلا فادبر ما اختبت بلفت ركائب

ويضيف الحموي" بأن لفت مكان بين مكة والمدينة ، ويقال ثنّية . اختبّت . من الخب ، وهي ثنية بجبل قديد .(معجم البلدان ، ياقوت الحموي، المجلد الرابع ، ص١٨٠).(صورة رقم ٧) .

وقد تخلى بنو عدي عن جيش المشركين في هذا الموقع ، فقد اتجهوا من هذا الموقع نحو الساحل باتجاه مكة المكرمة ، فصادفهم أبو سفيان فقال: يابني عدي ، كيف رجعتم لا في العير ولا في النفير ، فقالوا: أنت أرسلت لقريش أن ترجع ، فرجع من رجع ومضى من مضى ، فلم يشهد موقعة بدر من بني عدي أحدٌ .(المغازي ، للواقدي ، الجزء الاول ، ص ٤٥) .

القديد :

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بعد أن قطع جيش أبو جهل ١٣٠كم من مكة المكرمة ، وصل في نهاية اليوم التاسع من شهر رمضان الى القديد ، وبات الجيش ليلة (٩/١٠ـ رمضان ـ ٢هـ) في هذا الموقع . والقُدَيْد : تصغير القدّ من قولهم قددت الجلد ، أو من القد وهو جلد السخلة ، أو أن يكون تصغير القدد من قوله تعالى ((طرائق قدداً)) [الجن : ١١] . وهي الفِرَق، وسئل كثير فقيل له : لمَ سمي القديد قديداً . قال : ذهب سيله قدداً . وقال ابن الكلبي في القديد : لما رجع تبّع من المدينة بعد حربه لأهلها . نزل قديداً فهبت ريحٌ قدّت خيم أصحابه فسمي قديداً ، وبذلك قال عبد الله بن قيس الرقيان :

قل لفندٍ تشيع الاظعانا ربما سرَّ عيشنا وكفانا

صادرات عشية عن قديد واردات من الضحى عسفانا

(معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الرابع ، ص٢٣) .

ونقلاً عن البلادي ، يقول البكري ، القديد: قرية جامعة ، كثيرة المياه والبساتين ، وقد روي عن ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتى قديداً فصام ، حتى بلغ الكديد ثم أفطر ، وهي لخزاعة وبقديد كانت وقعة الخارجي بين أهل المدينة وبين أبو حمزة الخارجي عام ١٣٠هـ ، وهناك مات القاسم بن محمد حتف أنفه . ويمضي البكري قائلاً: " إن قديداً هو الوادي الذي وقعت فيه الريح بسليمان ، وأنه هو الذي أتى فيه بصاحبة سبأ .(معجم معالم الحجاز،البلادي، الجزء السادس ، ١٤٠١/١٩٨١م، ص٩٨). وتشير كتب السيرة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عقد الالوية والرايات في القديد وهو متجه لفتح مكة .

واليوم ، فإن القديد أحد أودية الحجاز المشهورة ، يتميز بخصبه وكثرة عيونه ، ففيه٢٥عيناً جف بعضها ، وهو ينبع من حرّة ذرة ، ويسمى قسمه العلوي ستارة حتى إذا وصل الجول وهو سوق قديد الرئيسي سمي قديداً حتى يصل البحر الاحمر عند بلدة القضيمة ، ويقدر طوله بنحو ١٥كم ، وسكان ستارة بنو سليم وسكان قديد زبيد من حرب ، ويحف بقديد من الشمال القُدَيْدة حرة نسبت الى الوادي ، كانت تعرف في السابق بالمشلّلْ .(معجم معالم الحجاز،البلادي،الجزء السادس،١٤٠١/١٩٨١، ص٩٦) .

ويقطع طريق مكة ـ المدينة القديم وادي القديد عبر جسر يبعد بنحو ١٣كم عن بلدة البريكة التي تعد أكبر بلدة عامرة في حوضة الأدنى ، ويمر هذا الطريق عبر سهل مترامي الاطراف يغلب عليه طابع الاستواء ، حتى أن المسيلات المائية الصغيرة تحتار في أي طريق تسكله .(صورة رقم ٨) .

وتجمع كتب السيرة النبوية الى أن سهيل بن عمرو قد نحر لجيش المشركين عشراً من الابل في هذا المكان ، وبعد خروجهم صباح اليوم العاشر من رمضان من القديد باتجاه المحطة التالية ، قد ضلوا الطريق ، فمالوا نحو البحر حتى وصلوا الى ثنية المشلل ، حيث يوجد هناك صنم مناة . (السيرة النبوية ، ابن كثير ، الجزء الثاني ، ص٣٨٧) .

المشلل ، مناة ، أم معبد :

لا يثبت الواقع المورفولوجي للمنطقة ، ولا التكوين العقائدي للمشركين بأنهم ضلوا الطريق ، فالطريق معروف وتسلكه القوافل التجارية والحملات العسكرية عبر التاريخ ، فقد توجهوا الى الكعبة المشرفة قبل

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تحركهم من مكة المكرمة ، واستقسموا بالازلام عند هبل ، ولعلهم يريدوا التبرّك من مناة ، وطلب النصر منه على أعدائهم ، كما أن مسارهم نحو البحر ، يعدّ مساراً اجبارياً ، لأن حرة القديدة / المشلل / تعترض مسارهم ، فيسلكوا طريقاً يميل نحو اليسار باتجاه البحر ، وعلى بعد مسافة لا تتجاوز العشرة كيلومترات من القديد يتربع مناة على ربوة يرتفع منسوبها عن البحر قرابة الخمسة والعشرين متراً ، ويمكن للناظر ليلاً أن يرى منها ميناء ثول ، وميناء القضيمة ، حيث لا توجد حواجز طبيعية تحجز الرؤية عن البحر ، وتشرف جروف حرّة القديدة على هذا الموقع من ارتفاع يعلو الموقع بنحو ٧٥متراً ، ويبدو أن هذا الجرف الصخري البازلتي كان يستخدم في السابق مرشداً للمسافرين ليساعدهم على تحديد موقع مناة بدقة .

ولمن يريد الوصول الى هذا الموقع اليوم ، عليه أن يسلك طريقاً ترابياً ممهداً يسير وخط الضغط العالي للكهرباء ، ويتوقف عند البرج الكهربائي الذي يحمل رقم[١٠٧] أو [401=F5] . فقد حل هذا البرج مكان مناة ، ويتربع البرج على ربوة دائرية الشكل ، يوحي توزع الحجارة البازلتية حولها ، بأنها كانت تلتف حولها على شكل حلقات ، ولم يتم التأكد بأن هذه الربوة طبيعية أم من صنع عُبّاده . (صورة رقم ٩) .

والمشلل : بالضم ثم الفتح وفتح اللام أيضاً ، والشل الطرد : وهو جبل يُهبَط منه الى قديد من ناحية البحر . وقال العرجي :

ألا قل لمن أمسى بمكة قاطناً ومن جاء من عَمّق ونَقْب المشلل

دعوا الحجّ لاتستهلكوا نفقاتكم فما حجُّ هذا العام بالمتقبل

(معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الرابع ، ص٢٧١) .

وينقل البلادي عن البكري قائلاً : المشلل ثنية مشرفة على قديد ، وبالمشلل دفن مسلم بن عقبة ، قائد اليزيد بن معاوية ، الذي استباح المدينة ثلاثة أيام فيما يعرف بيوم الحرّة ، وبعد دفنه ، نبش قبره ، ثم صلب هناك . وقال مُزَرّد :

تدب مع الركبان لا يسبقونها وحلّت بجنبي عزور فالمُشلّل

وعزرو : وادٍ قريب من المشلل ، وقال نُصيب فيها :

عفا سَرَب الحبل الدميث المُحلل ففرش الجُبيل بعدها فالمشلّل

وقد هاجني منها على النأي دفنه لها بقّديد دون نعف المشلّل

والى الغرب من موقع مناة بنحو ٤كم ، وبالقرب من برج الضغط العالي للكهرباء الذي يحمل رقم [١١٦] أو رقم [F1=4DL-961]، يعتقد أهل المنطقة بأن موقع خيمة أم معبد يوجد هناك ، فمن هذا البرج باتجاه شمال غرب بنحو ٢كم، توجد بقايا نبكة ، تتجمع رمالها حول شجرة متهالكة من نوع (تنضتبَ) ، يتوقع أحد سكان المنطقة بأن هذه النبكة هي التي تدل على موقع الخيمة .

ولخمية " أم معبد ذكرّ في كتب السيرة ، ويذكرها الحموي : **خيمة أم معبد** : ويقال بئر أم معبد بين مكة والمدينة نزله الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته مع أبو بكر رضي الله عنه ، فلما هاجر الرسول عليه الصلاة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والسلام لم يزل مساحلاً حتى أنتهى الى قديد ، فانتهي الى خيمة منتبذه .(صورة رقم ١٠) ، وسمع هاتف ينشد :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالهدى ثم تروّحا فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهنئ بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد

(معجم البلدان ، ياقوت الحموي، المجلد الثاني ، ص ٢٦٧) .

نعود مرة أخرى الى الصنم **مناة** : لعله من المَنَا وهو القدر ، ويجوز أن يكون من المنا وهو الموت ، ويجوز أن يكون من مناه الله بحبها أي ابتلاه الله بحبها ، ويجوز أن يكون من منون الرجل منيته ، وهو اسم صنم في جهة البحر مما يلي قديداً فالمشلل ، وكانت الأزد وغسان يهللون له ويحجون إليه ، وكان أول من نصبه عمرو بن لحيّ الخزاعي ، وهو الذي قاتل جرهم واخرجهم من حرم مكة واستولى عليها واجلاهم منها وتولى حجابة البيت بعدهم ..... الى نهاية القصة ، وتشير المصادر بأنه هو أول من أدخل عبادة الاصنام الى الجزيرة العربية ، فكانت مناة أقدم هذه الاصنام ، وكان الاوس والخزرج هم الاكثر تعظيماً لهذا الصنم .

ومناة هذه التي ذكرها الله تعالى في صورة النجم آية ٢٠((ومناة الثالثة الاخرى)) كانت لهذيل وخزاعة وكانت قريش وجميع العرب تعظمها ، فلم تزل على ذلك حتى خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة سنة ٨/هـ بعث علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه إليها فهدمها ، وأخذ ما كان لها وأقبل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جملة ما أخذه سيفان ، وهما سيفا الحارث الغساني ، اللذان ذكرهما علقمة بن عبدة في شعره قائلاً :

مظاهر سربالي حديد عليهما عقيلاً سيوف مجذمُ ورسوب

فوهبها النبي عليه السلام الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فأحدهما يقال له ذو الفقار ، وهو سيف الامام علي .(معجم البلدان ،ياقوت الحموي ، المجلد الرابع ، ص٣٢٥) .

بات المشركون ليلة ١٠-١١/ رمضان/٢هـ في المشلل رغم أنهم لم يقطعوا مسافة تستحق المبيت ، ولعل ذلك يعود (كما أشرنا سابقاً) للتعبد ، أو للراحة من عناء السفر الطويل ... وفي هذا الموقع ، نحر لهم شيبة بن ربيعة تسعاً من الابل (السيرة النبوية ، ابن سيد الناس ، المجلد الاول،ص٣٣٠).

الجحفة :

لم توضح المؤلفات وكتب السيرة النبوية المطهرة عن موعد وصول جيش الرسول عليه الصلاة والسلام ولا جيش المشركين الى المحطات الرئيسية التي أناخوا بها . ولكنها تفترض المبيت في هذه المواقع ، وبناءً عليه ، فإن جيش المشركين تحرك صباح يوم ١١/ رمضان /٢هـ من مناة باتجاه الشمال نحو الجحفة ، والتي تبعد عن مكة المكرمة نحو ١٨٠كم ، ويفترض أن مسيرهم استمر سحابة نهار هذا اليوم ، فالطقس ربيعي ، والسير بنهاره أفضل من السير بليله ، وضوء القمر في هذا التاريخ لا يشجع المسار ليلاً ، فهو في مرحلة التربيع الاول ، ويغيب مبكراً . وقد وصلت الحملة العسكرية الى الجحفة بعد ان سارت عبر سهولٍ مترامية الاطراف ، خالية من

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العقبات والحواجز الجبلية ، حتى أنها شبه خالية من الاودية الرئيسية ، وباتوا ليلة ١١-١٢/ من رمضان /٢هـ في الجحفة ، ونحر لهم في هذه المحطة عتبه بن ربيعة عشراً من الابل ، ولم يتحرك جيش المسلمين من المدينة المنورة حتى الآن ، فقد بدأ مسيرته المظفرة يوم الاثنين ١٣/ رمضان /٢ هـ.(العياشي ، ١٤٠١/١٩٨١م ، ص ٨٠).

والجحفة : بالفتح ثم السكون والفاء، ،كانت قرية كبيرة على طريق مكة . المدينة على أربع مراحل ، وهي ميقات أهل الشام ومصر إن لم يمّروا بالمدينة المنورة ، وكان اسمها مَهَيَعَةُ ، وسميت بالجحفة لأن السيل قد اجتحفها ، ويقول جرير فيها :

قد كنت أهوى ثرى نجد وساكنه فالغور غوراً به عسفان والجحفُ

لما ارتحلنا ونحو الشام نيتنا قالت جعادةُ هذه نيّةُ قذفُ

ولما قدم الرسول عليه الصلاة والسلام المدينة استوبأها واصيب أصحابه بالحمّى فقال : اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشدْ ، وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها الى الجحفة ، وقيل أيضاً : أن الرسول صلى الله عليه وسلم نعس ليلة في بعض أسفاره ، إذ استيقظ فأيقظ أصحابه وقال : مرّت بي الحمّى في صورة إمرأة ثائرة الرأس منطلقة الى الجحفة .(معجم البلدان، ياقوت الحموي ، المجلد الثاني ، ص٣٦).

ووفق ما أورده البلادي في معجمه ، فإن الجحفة على خمس مراحل من مكة، وينقل عن البكري قوله : وفي أول الجحفة مسجد للرسول عليه الصلاة والسلام بموضع يقال له عزور ، وفي آخرها عند العلمين مسجد الائمة ، وبين الجحفة والبحر غدير خمّ ، تصب فيه عين ، حوله شجر كثيف من الغيضة التي تسمّى خمّ ، وبين الغدير والعين مسجد النبي عليه الصلاة والسلام ، وبغدير خمّ قال الرسول عليه الصلاة والسلام : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهمّ والي من والاه ، وعادِ من عاداه. (معجم معالم الحجاز ، البلادي ، الجزء الثاني، ١٣٩٩/١٩٩٧م، ص١٢٤) .

والخرار: هو وادي الجحفة سابقاً ، وهو من الخرير صوت الماء والماءُ خرار بفتح أوله وتشديد ثانيه ، وعن ابن اسحق: انه في السنة الاولى وقبل الثانية من الهجرة ، بعث الرسول عليه الصلاة والسلام سعد بن أبي وقاص في ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز ، ثم رجع ولم يلق كيداً .(معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الثاني ، ص ٢١٨) .

أما اليوم فإن الجحفة مازالت خالية من السكان ، ووادي الخرار أصبح وادي الحلق ، وفيها أماكن لراحة الحجاج والمعتمرين ، وفيها مسجد كبير ، وتقع رابغ على بعد ٢٢كم الى الشمال الغربي من الجحفة ، كما انها تخلو من الاشجار الطبيعية ، ومن المزارع ، ولا وجود للمساجد التي مرّ ذكرها آنفاً، وسكان المنطقة بطون من زبيد من حرب : الزنابقة ، والروايضة والعصلات وابن السفر .(معجم معالم الحجاز ، البلادي ، المصدر السابق ، ص١٢٢) .(انظر الصورة رقم ١١) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتشير كتب السيرة بأن احداثاً مهمة قد حصلت لجيش المشركين أثناء إقامتهم فيها ، وهي على النحو التالي : **رؤيا جهيم بن الصلت** : وهو جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، وقد رأى في المنام رجلاً قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال : " قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وفلان ، وفلان "، ..... ، ثم رأيته ضرب في لبة بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابة نضخ من دمه ، [النضخ : التلطخ بالدم] ، قال : فبلغت أبا جهل ، فقال: وهذا أيضاً نبي آخر من بني المطلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن إلتقينا . (سيرة بن هشام ، الجزء الثاني ، ص٢٣٦) . وبعد أن سمعت قريش بمنام جهيمّ ، خلا عتبة بأخيه فقال : هل لك في الرجوع ؟ فهذه الرؤيا مثل رؤيا عاتكة ...، ولعمري لئن كان محمد كاذاباً ، إنّ في العرب لمن يكفيناه ، ولئن كان صادقاً إنا لأسعد العرب به ، وإنا للحمته ، قال شيبة : هو على ما تقول ، أفترجع من بين أهل العسكر ؟ فجاءُ أباجهل وهما على ذلك ، فقال ما تريدان؟ قالا: الرجوع ، ألا ترى الى رؤيا عاتكة والى رؤيا جهيمُ بن الصلت .....؟ فقال : تخذلان واللهِ قومكما ، وتقطعان بهم ، قالا: هلكت والله ، وأهلكت قومك فمضينا على ذلك (المغازي ، للواقدي ، الجزء الاول ، ص ٤٢. ٤٣) .

رسول أبا سفيان قيس بن أبي قيس :

لم يتمكن الفرات بن حبان رسول قريش الى أبي سفيان من لقاء أبي سفيان لأختلاف طريقيهما ، فعاد ليلتقي بالمشركين عند الجحفة ، ويخبرهم بانه لم يعثر على القافلة ، فقال أبو جهل : والله لانرجع ، فقال الفرات ، ما بأنفسهم عن نفسه رغبة ، والذي يرجع بعدما رأى ثأره من كثب أنه لضعيف ، وخرج مع المشركين ، وجرح يوم بدر ، وهرب ، وهو يقول : ما رأيت كاليوم أمراً أنكد ، إن ابن الحنظلية غير مبارك . (العياشي ، ١٤٠١/١٩٨١م ، ص ٦٢) .

أمّا رسول أبو سفيان قيس بن أبي قيس ، فقد حمل رسالة الى جيش المشركين ، ووصلهم وهم في الجحفة ونص الرسالة يقول: " قد نجحت عيركم فلا تجزروا نفسكم أهل يثرب ، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك ، إن ما خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم وقد نجاها الله ، فإن أبو عليك ، فلا يأبون خصلة واحدة ، يرددن القيان فإن الحرب إذا أكلت نكلت " ، ... فأبت قريش الرجوع ، وردوا القيان (المصدر السابق نفسه ، ص ٧١) .

ويشير الواقدي بأن قيساً لحق بأبي سفيان وأخبره بمضي قريش ، فقال : واقوماه ، هذا عمل عمرو بن هشام ، كره أن يرجع لأنه قد ترأس على الناس ، وبغى ، والبغي منقصةٌ وشؤمٌ ، إن أصاب أصحاب محمد النفير ذللنا الى أن يدخل مكة ، ... ، وكان أبو جهل قد قال لرسول أبي سفيان : لا والله لا نرجع ، حتى نرد بدراً ، وتسمع العرب بمسيرنا ، فنقيم ثلاثاً على بدر وننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونشرب الخمر ، وتعزف القيان علينا ، فلن تزال العرب تهابنا أبداً . (المغازي ، للواقدي ، الجزء الاول ، ص ٤٤) .

رجوع بنو زهرة :

يروي الواقدي ، بأن الاخنس بن شريق وكان اسمه أبيّاً ، وكان حليفاً لبني زهرة ، قال : يا بني زهرة ، قد نجى الله عيركم ، وخلّص أمواكم ، ونجى صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما خرجتم لتمنعوه وماله، وإنما محمد

رجل منكم ، ابن أختكم ، فإن يك نبياً فأنتم أسعد به ،وإن يك كاذباً يلي قتله غيركم خير من أن تلوا قتل ابن أختكم ، فارجعوا واجعلوا جبنها/خبثها بي ، فلا حاجة لكم أن تخرجوا في غير منفعة ، لا مايقول هذا الرجل ، فإنه مهلك قومه ، سريعٌ في فسادهم . فأطاعوه ، وكان فيهم سيداً مطاعاً ، فرجعوا ، فلم يشهد احد منهم بدراً ، وكان عددهم مائة ، وقيل بأنهم ثلاثمائة . (المغازي ، للواقدي ، الجزء الاول ، ص ٤٤. ٤٥) .

الأبواء :

واصل المشركون بكل عناد سيرهم شمالاً نحو الابواء فساروا طيلة يوم ١٢/ رمضان / ٢هـ ، وباتوا في الابواء ليلة ١٢-١٣/ رمضان /٢هـ ، ونحر لهم في الابواء نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشراً (السيرة النبوية ، ابن كثير ، الجزء الثاني ، ص٣٨٧)) . وفي رواية أخرى أن الذي نحر للجيش في الابواء هو مقيس بن عمرو الجمحي (السيرة النبوية ، ابن سيد الناس ، المجلد الاول ، ص ٣٣١) .

والابواء : بالفتح ثم السكون وواء وألف ممدودة ، قال قوم سمي بذلك لما فيه من الوباء ، وقيل سميت الابواء لتبوّيء السيول بها ، وقيل أيضاً لأنهم تبوؤا بها منزلاً ، وقيل عنها قرية قرب الجحفة ، وقيل أيضاً بانها جبل على يمين آراة ويمين الطريق من مكة الى المدينة ، وهناك من يقول بانه جبل شامخٌ مرتفع ليس عليه شيء من النبات غير الخزم والبشام وهو لخزاعة وضمرة . وقال فيه قيس الرقيات :

فمنىً فالجمار من عبد شمس مقفرات فبلدحٌ فحراءُ

فالخيام التي بعسفان أقوَتْ من سُليمى فالقاع فالابواء

ويوجد بالابواء قبر آمنة بنت وهب أم الرسول عليه الصلاة والسلام ، ماتت وهي في طريقها لزيارة قبر زوجها عبد الله والد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكانت آمنة تخرج كل سنة الى المدينة لزيارة قبره ، ولما صار عُمرُ محمد عليه الصلاة والسلام ست سنوات ، خرجت للزيارة ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلما وصلت الابواء قادمة من مكة ماتت بها . (معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الاول ، ص ٧٣) .

ويرتبط بالابواء اسم ودّان ، **وودان** : بالفتح كانه فعلان من الود وهو المحبة ، وهي قرية من نواحي الفرع ، بينها وبين عقبة هرشى نحو ١٠كم ، وبينها وبين الأبواء نحو ١٣كم تقريباً ، وهي لضمرة وغفار وكنانة ، وفيها يقول نُصيب :

أقول لركب قافلين عشية قفا ذات أوشال وملاك قاربُ

قفو خبروني عن سليمان انني لمعروفة من آل ودّان راغب (سليمان : هو سليمان عبد الملك)

(معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الرابع ، ص ٤٤٨) .

وعلى المسافر من مكة الى المدينة او العكس أن يمر في مسيره من الجحفة الى الابواء على عقبة أو ثنية يقال لها هرشى ، **وثنية هَرْشى** : بالفتح ثم السكون وشين معجمة والقصر ، وهي ثنية في طريق مكة قريبة من

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الجحفة ، يرى منها البحر ، ولها طريقان ، فكل من سلك واحداً منها أفضى به الى موضع واحد ، ولذلك قال الشاعر :

خذا أنف هرشى أو قفاها كلا جانبي هرشى لهنّ طريق

ويقال فيها أيضاً: بأنها هضبة مهملة لا تنبت شيئاً وهي على ملتقى طريق الشام المدينة . مكة ، وهي أرض مستوية وأسفل منها يقع وَدّانُ .(معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الرابع،ص٤٧٢).

وقال كثير عزة نقلاً عن البكري :

عفا رابغٌ من أهله فالظواهر فأكناف هرشى قد عفت فالاصافرُ

تبعد هرشى عن الجحفة مسافة تقدر بنحو ٣٠كم ، وفي الطريق من الجحفة حتى الثنية ، تسير الطريق عبر سهل يقطعه واديان رئيسيان ، هما وادي رابغ والى الشمال منه وادي الخمص اللذان يلتقيان قبل البحر عند ميناء رابغ ، ويسير المسافر في هذا السهل نحو الشمال وحرة رمحة وحرة الحميضية وجبل فخداء على يمينه ، حتى يصل الى سهل واسع تتخلله روافد وادي الخمص ، وتكون الثنية بمواجهته شمالاً والاصافر على يمينه ، وهي مجموعة من التلال ذات لون يميل الى الصفرة ، غير ألوان التلال المحيطة بها والتي يغلب عليها السواد ، ثم تعترض المسافر شمالاً حرّة القطينة ، فيطرّ أن يسلك عقبة عبر هذه الحرة ، وهي التي نحن بصددها (ثنية هرشى) . وتبعد هذه الثنية عن الابواء مسافة تقدر بنحو ١٥كم ، وتختلف هذه المسافة باختلاف الطريق الذي سيختاره المسافر. (صورة رقم ١٢) .

وبعد أن تهبط من العقبة تجد مسجداً للنبي عليه الصلاة والسلام ، محاط بسور من الاسمنت وتقدر أبعاد هذا المسجد(١٠مX٤م) ، وفي باحته بئر ماء لمن أراد الوضوء أو الشرب ، والى الغرب من المسجد توجد مقبرة ، ويقع المسجد ضمن فضاء متسع (صورة رقم ١٣) ، تحفّ به الجبال من جميع الجهات ، وتصرف مياه هذا الفضاء شعاب وادي حمامة الذي يصب غرب الابواء في وادي مستورة ، ويمكن للمشاهد أن يرى من هناك جبل تمن ، وهو عبارة عن جبل قائم يشرف على كل عابر لهذا الطريق ، ويرتفع نحو ١٩٦ متراً عن سطح البحر . (صورة رقم ١٤) .

ويقول القاطنون في هذه المنطقة ، وكما هو واضح من الخرائط الرسمية ، فإن طريق الحج والقوافل التجارية يسير شمالاً من هذه العقبة ، حتى يعبر منطقة الابواء الى أن يصل بئر مبيريك ، وعلى طول هذا الطريق الرئيسي توجد أشجار كثيفة ووادٍ متسع يقول عنه أهل المنطقة بأنه وادي بحرة (غير مثبت على الخرائط بهذا الاسم) ، كما توجد شواهد حجرية لتدل المسافرين والحجاج الى مسار الطريق ، (صورة رقم ١٥) ، (صورة رقم ١٦) .

ومن المرجع أن يكون جيش أبو جهل قد سلك الطريق الغربي ، تاركاً الطريق الرئيسي المشار إلأيه آنفاً ، لأن الطريق الغربي أقصر ، ويحافظ على الاتجاه نفسه نحو بدر ، ولكنه أقل سلاسة ، وتكثر فيه التلال الجرانينية المعزلة والمنتشرة على طول هذا الطريق المؤدي الى الابواء .

يطلق الان اسم الابواء على البلدة ، وعلى الوادي ، وعلى المنطقة بأسرها ، فبلدة الابواء ، تبعد من ميناء مستورة نحو ٣٠كم ، وعن الجحفة نحو ٤٥كم، وبذلك فإن الابواء تبعد عن مكة المكرمة نحو ٢٢٥كم ،

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهي بلدة عامرة ، بها مركز إمارة ، ومسجد كبير ، ومركز صحي ، ومدارس ثانوية وإبتدائية ، وبها محلات تجارية ، وتكثر فيها المزارع ، وتنتشر بين أحيائها تلال غرانيتية متواضعة الابعاد ، ويقدر البلادي (الجزء الاول ، ص٣٦) عدد آبار الضخ الآلي بنحو مائة بئر .

وترد الابواء بكتب السيرة المطهرة ، فإليها توجهت أولى غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام بعد سنة من هجرته ، وقصد من هذه الغزوة بني ضمرة وبني بكر ، وروى البخاري عن الصعب بن جثامة الليثي أنه أهدى الرسول عليه الصلاة والسلام حماراً وحشياً وهو بالابواء أو بودان ، فرده عليه ، فلما رأى ما في وجهه قال : إنا لم نُرِده إلاّ أنا محرم . (أي محرمين) . وسكان الابواء هم من بني عمر ، وبنو أيوب من البلادية من بني عمرو ، ويسكن عند مستورة قبائل زبيدة من حرب ، أما قرية ودان فقد اندثرت (معجم معالم الحجاز ، البلادي ، الجزء الاول ، ١٣٩٨/١٩٧٨م ، ص ٣٧) .

أما وادي الابواء ، فيتشكل من التقاء وادي النخل مع وادي القاحة عند بئر مبيريك ، ويمضى من هناك يحمل اسم وادي الابواء حتى نهاية بلدة الابواء (الخريبة سابقاً) ، وهناك يدعى بوادي مستورة الذي ينتهي بالبحر الاحمر عند هذا الميناء ، وبذلك فإن طول هذا الوادي لا يتعدى ١٥كم .

وفيما يتعلق بقبر أم الرسول محمد عليه الصلاة والسلام (آمنة بنت وهب) ، يمكن القول عنه بأنه أثر دارس ، ولا دليل على صحة مكانه المعروف اليوم ، وهو يقع على تلة ، شمال غرب البلدة بنحو ٣كم .

الطريق من الابواء الى بدر :

انطلق جيش المشركين من الابواء صباح يوم ١٣/ رمضان /٢هـ ، صوب بدر ، كما انطلق جيش المسلمين من المدينة المنورة الى بدر ، دون أن يعلم أيٌ منهما عن تحرك الآخر ، وفي طريق جيش أبو جهل من الابواء الى العدوة القصوى ببدر ، لا تذكر كتب السيرة المطهرة عن محطات رئيسية أناخ بها أبو جهل ركائبة ، ولكن وفق نواميس الرحالة ، فإن أنسب الاماكن للراحة هي بطون الاودية أو جوانبها خوفاً من السيول المفاجئة ، ووفق مسار القوافل فإنها تتجنب العقبات الصخرية والتلال ، وتسلك ما سهل من وهاد ، فقد سلك جيش المشركين تقديراً طريقاً يحاذي التلال الساحلية ، بعيداً ما امكن عن الساحل ، وبذلك فقد باتوا ليلة ١٣-١٤/رمضان /٢هـ في وادي العريش ، ثم اتجهوا صباح يوم ١٤/رمضان شمالاً نحو بدر ، وباتوا ليلة أخرى في هذا السهل الساحلي بوادي الصرير وهي ليلة ١٤-١٥/رمضان /٢هـ ، وتوجهوا صباح يوم ١٥/رمضان الى بدر ، وباتوا في العدوة القصوى ليلة ١٥-١٦/رمضان ، وأمضوا سحابة يوم ١٦/رمضان يتحسسوا المنطقة ، ويستطلعوا ، وفي صباح يوم الجمعة ١٧/رمضان/٢هـ ، حصلت معركة بدر في سهل بدر . وجدير بالذكر أن كتب السيرة لا تشير الى اللذين نحروا في هذه المواقع ، وإنما تذكرهم أحياناً بدون ترتيب وهم : العباس ، وأبو البختري ، ومقيس بن عمرو الجمحي ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وقد قتل جميع المطعمون في موقعة بدر الكبرى جزاء كرمهم هذا عدا سهيل بن عمرو (المغازي ، للواقدي ، الجزء الاول ، ص ١٢٨) .

العدوة القصوى : (عدوتا الوادي ، جانبيه) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم . ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينه ويحي من حَيّ عن بينه ، وأن الله لسميع عليم ﴾ [الانفال . ٤١] .

قال إبن اسحق : " ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي ، خلف العقنقل وبطن الوادي ، وهو يليل ، بين بدر والعقنقل الكثيب الذي خلفه قريش ، والقلب [جمع قُليب ، وهو البئر] ببدر في العدوة الدنيا من بطن يَلْيَل الى المدينة . وبعث الله السماء ، وكان الوادي دهساً [أي ليناً ، ليس رملاً] ، فأصاب رسول الله وأصحابه منها ما لبّدَ لهم الأرض ، ولم يمنعهم عن السير ، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به " .(السيرة البنوية ، لأبن هشام ، الجزء الثاني ، ص ٢٣٨) .

العقنقل : بفتح أوله وثانيه بعده نون وقاف أخرى ، على وزن فعنلل ، كثيبُ رمل ببدر ، قال أمية بن أبي الصلت يرثي أهل بدر :

ماذا ببدر فالعقنقل من مرازبةٍ حجاحج [المرازبة : السادة ، الحجاحج : السادة] .

(معجم ما استعجم ، البكري ، الجزء الثالث ، ص ٩٥٠) . [إنظر الصورة رقم ١٧] .

أما يَلْيَلْ : بتكرير الياء مفتوحتين ولامين ، اسم قرية قرب وادي الصفراء من أعمال المدينة وفيه عين كبيرة تخرج من جوف الرمل من أغزر ما يكون من العيون وأكثرها ماءً ، وتجري في الرمل لا يستطيع المزارعون عليها إلاّ في مواضع يسيره ، وتصب في البحر عند ينبع ، وتسمى هذه العين البُحَيرْ ، ووادي يليل يصب في البحر . وقال كثير فيه :

كأن حمولها لما استقلت بيليل والنوى ذات انتقال

ثم قال :

وكيف ينال الحاجبية آلف بيليل ممساه وقد جاوزت نخلا

وقال جرير :

نظرت إليك بمثل عيني قطعتْ حبائلها بأعلى يليل

[معجم البلدان ، ياقوت الحموي، المجلد الرابع ، ص ٥٠٤ . ٥٠٥] .

والبُحيّر : بلفظ تصغير البحر ، وهي عين غزيرة في يليل ، ومنها يشرب أهل ميناء الجار ، والجار مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الاحمر) ، قال كثير :

رمتك ابنة الضمري عزّة بعد ما أمتَّ الّصِبا مما تريشى بأقطع

فإنك عمري هل أريك ظعائناً غدون أفتراعاً بالخليط المودّع

ركبن اتضاعاً فوق كل عذافر من العيس نضاج المعدَّ بن مرفِع

جعلن أراميّ البُحير مكانه الى كل قرّ يستطيل مقنّع

[معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الاول ، ص ٢٧٧ . ٢٧٨].

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عندما استقرت قريش بجيشها خلف العقنقل يوم الخميس الموافق ١٦/ رمضان / ٢ هـ ، ويوافقه في التاريخ الميلادي ١١/ آذار / ٦٢٤م ، بعثت بسقّائيها الى عين بدر ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد بعث علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص وبسبس بن عمرو يستطلعون أمر قريش على بئر يقع أسفل جبل صغير ، فوجد الوفد سُقاه جيش المشركين ، ففر من فر ، وأخذ من أخذ ، ومن بين الفارين عُجير ، وهو أول من أبلغ قريشاً بخبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، فنادى قائلاً : يا آل غالب ، هذا بن أبي كبشة وأصحابه قد أخذوا سقاؤكم ، فماج العسكر ، وكرهوا ما جاء به (المغازي ، للواقدي ، الجزء الاول ، ص ٥١) .

أما السقاة الذين وقعوا بيد جماعة جيش المسلمين ، فهم : يَسار غلام عُبيد بن سعيد بن العاص وأسلم غلام مُنبّه بن الحجاج ، وأبو رافع غلام إبن أمية ابن خلف ، وتمّ استجواب الفتية من قبل الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه ، وعلم المسلمون " لأول مرة " منهم بان قريش خلف كثيب العقنقل ، وأنه ينحر لهم يومياً ما بين تسعة الى عشرة جزر ، وبذلك قدر عددهم ما بين ٩٥٠ . ١٠٠٠ رجل . (المغازي . للواقدي ، الجزء الاول ، ص٥٢ . ٥٣) .

ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتية : من في القوم من أشراف قريش ؟ قالا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن نوفل ، وطعيمة بن عدي بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الاسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ومنبه أبنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عمرو بن ودّ ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال : هذه مكة قد ألقت أفلاذ أكبادها . (السيرة النبوية ، لأبن هشام ، الجزء الثاني ، ص ٢٣٥) .

بعد ذلك أرسل عليه الصلاة والسلام عمّار بن ياسر وابن مسعود ، ليستطلعوا قريشاً ، فطافوا بالجيش ورجعا الى النبي عليه الصلاة والسلام فقالا : يا رسول الله ، القوم مذعورون ، فزعون ، إن الفرس ليريد أن يصهل فيُضرب وجهه ، مع أن السماء تسُح عليهم ، وتبين لنبيه بن الحجاج آثار عمار بن ياسر وابن مسعود ، فقال : هذا أثر ابن سميّة وابن أمّ عبد ، قد جاء محمدّ بسفهائنا وسفهاء أهل يثرب ثم قال :

لم يتركِ الجوعُ لنا مبيتاً لا بد أن نموت أو نميتا

واستنكر محمد بن يحي قول إبن الحجاج ، لأن الجيش بات شبعاناً ، فقد نحر لهم عشرة جزر. (ومن هذا الخبر ، تيقنا بأن النحر كان يتم ليلاً) وفي الصباح غير منبه رأيه فقال :

لم يتركِ الخوف لنا مبيتاً لا بد أن نموت أو نميتا

(المغازي ، للواقدي ، الجزء الاول ، ص ٥٥)

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي الصباح ، أي صبيحة يوم الجمعة ١٧/ رمضان / ٢هـ ، استقبل الرسول عليه الصلاة والسلام المغرب ، وجعل الشمس خلفه ، وأقبل المشركون فاستقبلوا لشمس ، ونزل الرسول عليه الصلاة والسلام بالعدوة الشامية ، ونزلوا بالعدوة اليمانية [عدوتا النهر والوادي جنبناه] ، ثمّ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه تبارك وتعالى ، فنزل عليه جبريل بهذه الآية الكريمة من سورة الأنفال [إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين] ((الأنفال . الآية ٩)).

(المغازي ، للواقدي ، الجزء الأول ، ص ٥٦) .

وبهذا فإن طريق جيش المشركين قد وصل طولها من مكة المكرمة الى بدر نحو (٣١٥كم٢) واستغرق مسيرهم عشرة أيام ، أي بمعدل (٣٥.٣٠كم/ اليوم) علماً بأنهم لم يقطعوا سوى بضعة كيلو مترات بين القديد ومناة ، وقد نُحرلهم في كل يوم ما بين تسعة إلى عشرة جزر ، وأن كل من نحر لهم قتل في الموقعة الكبرى (ماعدا سهيل بن عمرو) ، وأن كلا الطرفين لم يعرف عن وجود الآخر إلى قبل المعركة بيوم واحد فقط وهو ويوم ١٦/ رمضان / ٢هـ ، وأن بداية تحرك قريش كان لنجدة القافلة ، تحول بعد الحجفة لإثبات الوجود والتباهي بالقوة ، وأن الله قادر على نصرة المستصغين مهما كان فارق الحشد بين الايمان والشرك ، فسبحان الله فقد صدق وعده ، ونصر جنده ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين .

أهم النتائج والتوصيات :.

أولاً : النتائج :.

١. سار جيش مشركي قريش في فصل مناسب للسير نهاراً وهو بداية شهر آذار عام ٦٢٤م .
٢. خالف أبو سفيان بقافلته المتعارف عليه من حيث التوقيت ، فقد توجه الى بلاد الشام في شهر تشرين أول /٦٢٣م ومكث هناك كانون أول وكانون ثاني ، ثم عاد في شباط /٦٢٤م .
٣. لا يوجد اتفاق بين الرواة على مسار طريق أبو سفيان وقافلته .
٤. السرعة التي تحركت بها قريش نحو بدر كانت وفق المعدل المعروف ، فقد كانت تسير يومياً نحو ٣٥كم.
٥. لم تسلك قريشاً طريقاً مغايراً للطرق المعروفة ، فهي لم تكن ملاحقة ، وليست في عجلة من أمرها كما يبدو من سرعة تحركها .
٦. رغم كفر صناديد قريش ، إلاّ أنهم طلبوا العون من هُبل ثم مناة لمنحهم النصر على عدوهم .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٧. تتميز الطريق السلطاني الذي سلكه جيش قريش الى بدر بأنه طريق مطروق ، ولم يحاولوا البحث عن غيره ، فكل محطة توقفوا عندها ، تتميز بتوفر المياه ، وجميعها تقع في بطون الأودية ، عدا محطة المشلل ، والمحطات الاخرى التي امتدت من المستورة حتى بدر ، فليس هناك ذكرٌ لها في كتب السير .

٨. إن بداية تحرك قريش كان لحماية القافلة تحول فيما بعد الى إثبات الذات والخيلاء .

٩. كان ينحر للجيش يومياً ما بين ٩. ١٠ من الابل ، وكان هذا أحد مصادر التعرف على عددهم من قبل الرسول عليه الصلاة والسلام .

١٠. عدم قناعة جميع المشركين بضرورة المواجهة العسكرية ، فقد عاد منهم بنو عدي ، وبنو زهرة ، والكثير ممن دخلوا القتال بغير قناعة ، ولكنهم خافوا من كيد أبو جهل .

١١. إنه لأمر غريب أن يبدأ القتال بين الجيشين مباشرة دون ان يتم تفاوض جديّ ، وقبل أن يرتاحوا من عناء السفر !!!

ثانياً : التوصيات :

١. إجراء دراسة مستفيضة عن رحلة أبو سفيان من مكة الى الشام ، ومن الشام الى مكة .

٢. تعيين المواقع الخاصة بهذه المعركة التي وردت في كتب السيرة بواسطة نظام (**GPS**) .

٣. إنجاز مجسم للمعركة بحجم مناسب ويوضع في مكان واضح في مدينة بدر .

٤. أنجاز خريطة بمقياس كبير لموقع المعركة ، وتثبت في مكان مناسب في مدينة بدر .

٥. إحياء السياحة الدينية المنضبطة في منطقة بدر .

٦. تثبيت لوحات إرشادية على المواقع التي ذكرت في كتب السيرة الخاصة بهذه المعركة .

٧. نشر الأبحاث الخاصة بندوة " التوثيق الميداني لمعركة بدر (بعد تحكيمها) بإصدار خاص ، مدعوم بالصور الملونة ، والخرائط التوضيحية ، وأرجو أن تكون هذه الخرائط مرفقة بالمؤلف على شكل قرص (**CD**).

قائمة المصادر والمراجع :

قائمة المصادر :

١. ابن سيد الناس ، محمد بن عبد الله بن يحي ، "السيرة النبوية ، عيون الأثر في فنون المغازي في الشمائل والسير" ، ٦٧١-٧٣٤هـ ، المجلد الأول ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت،١٤٠٦/١٩٨٦م .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢. ابن شهبة ، محمد بن محمد ، "السيرة النبوية في ضوء القرآن الكريم والسنة" ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٧/١٩٩٦م .
٣. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، "السيرة النبوية" ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، الجزء الثاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .
٤. ابن هشام ، أبو محمد ، عبد الملك بن هشام المعافري ،" السيرة النبوية ، المعروفة ، بسيرة إبن هشام" ، ضبط وتحقيق الشيخ محمد علي القطب ، والشيخ محمد الدالي بلطه ، الجزء الثاني ، المكتبة العصرية ، بصيدا وبيروت ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .
٥. البكري ، عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي ، المتوفي سنة ٤٨٧، " معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع " ، الجزء الثالث ، حققه مصطفى السقا ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٦. البلادي، عاتق بن غيث ، "معجم معالم الحجاز" ، دار مكة للتوزيع والنشر ، الطبعة الاولى ١٣٩٨ . ١٤٠٢هـ / ١٩٧٨. ١٩٨٢م .
٧. الواقدي ، محمد عمر بن واقد ، المتوفي سنة ٢٠٧هـ ، "المغازي" ، تحقيق مارسدن جونسن ، الطبعة الثالثة ، الجزء الأول ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م .
٨. الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، توفي سنة ٦٢٦هـ ، "معجم البلدان" ، الطبعة الاولى ، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

قائمة المراجع :

١. البليهشي ، محمد صالح ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، "هذه بلادنا(٤٢) . بدر" ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب الطبعة الاولى ، الرياض .
٢. الرحيلي،سليمان الرحيلي، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، " الطريق الى بدر ..... معالم وعبر" ، المدينة المنورة .
٣. العياشي ، إبراهيم بن علي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، "غزوة بدر الكبرى" النادي الأدبي ، المدينة المنورة .
٤. اليماني ، محمد عبده يماني، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م،"بدر الكبرى" دار القبلة للثقافة الإسلامية،جدة، وأيضاً مؤسسة علوم القرآن ، دمشق . بيروت .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة